يكتب بها إلى الرؤساء والأساتذة لأن فيها معنى الأمر ولذا للتنصيت ولا يفرقون (ص٩) بين من يكتب إليه وأنا فعلت ذلك وبين من يكتب إليه ونحن فعلنا ذلك ونحن لا يكتب بها عن نفسه إلا أمراؤنا لأنها من كلام الملوك والعظماء قال الله عز وجل ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ وقال ﴿ إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴾ وعلى هذا الابتداء خوطبوا فى الجواب فقال تعالى حكاية عمن حضره الموت ﴿ رب ارجعون لعلى أعمل صالحاً فيما تركت ﴾ ولم يقل ربى ارجعنى وربما صدر الكاتب كتابه بأكرمك الله وأتقاك فإذا توسط كتابه وعدد على المكتوب إليه ذنوباً له قال فلعنك الله وأخذاك فكيف يكرمك الله ويلعنه ويخزيه فى حال وكيف يجمع بين هذين فى كتاب (وقال) أبرويز لكاتبه فى تنزيل الكلام (إنما الكلام أربعة) سؤالك الشيء أو سؤالك عن الشيء وأمرك بالشيء وخبرك عن الشيء فهذه دعائم المقالات أن التمس إليها خامس لم يوجد وإن نقص منها رابع لن تتم فإذا طلبت فاسجح وإذا سألت فأوضح وإذا أمرت فاحكم وإذا أخبرت فحقق (وقال أيضاً) وأجمع الكثير مما تريد فى القليل مما تقول يريد الإيجاز وهذا ليس بمحمود فى كل موضع ولا بمختار فى كل كتاب بل لكل مقام مقال ولو كان الايجاز محموداً فى كل الأحوال المجردة الله فى القرآن، ولم يفعل الله ذلك ولكنه أطال تارة للتوكيد وحذف تارة للايجاز وكرر تارة للإفهام وعلل هذا مستقصاه فى كتابنا المؤلف فى تأويل مشكل القرآن وليس يجوز لمن قام مقاماً فى تحضيض على حرب أو حمالة بدم أو صلح بين عشائر أن يقلل الكلام ويختصره ولا لمن كتب إلى عامه كتاباً فى فتح أو استصلاح أن يوجز ولو كتب كاتب إلى أهل بلد فى الدعاء إلى الطاعة والتحذير عن المعصية كتاب يزيد بن الوليد إلى مروان حين بلغه عنه تلكؤه فى بيعته أما بعده فإنى أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى فاعتمد على أيتهما شئت لم يعمل هذا الكلام فى أنفسها عملها فى نفس مروان ولكن (ص١٠) الصواب أن يطيل ويكرر ويعيد ويبدى ويحذر وينذر (هذا) منتهى القول فيما نختاره للكاتب فمن تكاملت له هذه الأدوات وأمده الله بآداب النفس من العفاف والحلم والصبر والتواضع للحق وسكون الطائر وخفض الجناح فهذا المتناهى فى ذرى المجد الحاوى قطب السبق الفائز بخبير الدارى إن شاء الله تعالى.

وقد تناول (ابن قتيبة) فى كتابه «أدب الكاتب» الأبواب الآتية :